سُورَةُ قٓ

التَّعريف العامُّ بالسّورة:

المكّي والمدنيُّ:

سورة (ق) كلُّها مكّيَّة على قول الجمهور[1]، ونقل السُّيوطيُّ قولًا باستثناء آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق: 38][2]، ولعلَّه قال ذلك بسبب ما ورد في سبب نزول الآية عند الحاكم عَنِ ابنِ عَبّاسٍ ﷺ، «أنَّ اليَهودَ أتَتِ النَّبيَّ ﷺ، فَسَألَتهُ عَنْ خَلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ، فَقالَ: (خَلَقَ اللّه الأرْضَ يَوْمَ الأحَدِ والإثْنَيْنِ، وخَلَقَ اللّه الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ وما فيهِنَّ مِنْ مَنافِعَ، وخَلَقَ يَوْمَ الأرْبِعاءِ الشَّجَرَ والماءَ والمَدائِنَ والعُمرانَ والخَرابَ فَهَذه أرْبَعَةٌ)... فَنَزَلَت: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق: 38]»[3]، وعقَّب ابن عاشور على هذا الرَّأي بقوله: "وهَذا المَعْنَى وإنْ كانَ مَعْنًى دَقيقًا في الآيَةِ، فَلَيْسَ بالَّذي يَقْتَضي أنْ يَكونَ نُزولُ الآيَةِ في المَدينَةِ، فَإنَّ اللّه عَلِمَ ذَلِكَ، فَأوْحَى به إلَى رَسوله ﷺ، عَلَى أنَّ بَعْضَ آراءِ اليَهودِ كانَ مِمّا يَتَحَدَّثُ به أهْلُ مَكَّةَ قَبْلَ الإسْلامِ، يَتَلَقَّوْنَهُ تَلَقّيَ القَصَصِ والأخْبارِ، وكانوا بَعْدَ البَعْثَةِ يَسْألونَ اليَهودَ عَن أمرِ النُّبوءة والأنْبياءِ، عَلَى أنَّ إرادَةَ اللّه إبْطالَ أوْهامِ اليَهودِ لا تَقْتَضي أنْ يُؤَخِّرَ إبْطالَها إلَى سَماعِها، بَلْ قَدْ يَجيءُ ما يُبْطِلُها قَبْلَ فُشوِّها في النّاسِ"[4].

سورة (ق) كلُّها مكّيَّة

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 155، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 274.
(2) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 65.
(3) الحاكم، المستدرك على الصّحيحين، حديث رقم: (3997)، وقد ضعّفه الذّهبيّ.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 213.

ترتيب النُّزول وترتيب المصحف وعد الآي:

جاء ترتيبها المصحفيُّ بين سورتي الحجرات والذّاريات

هذه السّورةُ هي الخمسون في التَّرتيب المصحفيِّ الشَّريف، وهو التَّرتيب الثّابت والمُعوَّل عليه عند أهل النَّظر والتَّحقيق؛ وقد جاء ترتيبها بين سورتَي الحجرات والذّاريات، وهيَ السّورة الرّابعةُ والثلاثون في ترتيبِ نُزولِ السّور، نَزلت بعد سورة المُرسلاتِ وقبلَ سورةِ البلد[1].

وأمّا عدد آياتها؛ فهي أرْبَعونَ وخمس آيات في جَميع العدَد، لَيْسَ فيها اختلاف، ولا شيءٌ مِمّا يُشبِه الفواصل[2].

فضائل السّورة:

كان النَّبيُّ ﷺ يقرأُ بها في الجُمَعِ والأعياد

هذه السّورة الكريمة من أوائلِ سوَرِ المفصَّل التي قال فيها النبيُّ ﷺ فيما رواه عنه واثلةُ بن الأسقع رضي الله عنه: «أُعطيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفصَّلِ»[3]، وروَى مُسْلِمٌ عَنْ عَمرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أُخْتٍ لِعَمرَةَ، قالَت: «أخَذْتُ - ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾- مِنْ في رَسولِ اللهِ ﷺ، يَوْمَ الجُمُعَةِ، وهوَ يَقْرَأُ بِها عَلَى المِنْبَرِ، في كُلِّ جُمُعَةٍ»[4].

وروى مسلمٌ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «إنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَقْرَأُ في الفَجْرِ بِـ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾، وكانَ صَلاتُهُ بَعْدُ تَخْفيفًا»[5]، وعَنْ أبي واقِدٍ اللَّيثيِّ رضي الله عنه قال: «سَألَني عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ: عَمّا قَرَأَ به رَسولُ اللهِ ﷺ في يَوْمِ العيدِ؟ فَقُلْتُ: بِـ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: 1]، و﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾»[6].

---

(1) دروزة، التّفسير الحديث: 2/ 220، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 274.

(2) الداني، البيان في عد آي القرآن، ص: 231.

(3) أخرجه أحمد في المسند، برقم: (16982)، والطبراني في المعجم: (22/ 76) ، برقم: (187)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: (2415).

(4) مسلم، صحيح مسلم، بابُ تخفِيفِ الصّلاةِ والخُطبةِ، حديث رقم: (872).

(5) مسلم، صحيح مسلم، بابُ القِراءةِ في الصُّبحِ، حديث رقم: (458).

(6) مسلم، صحيح مسلم، بابُ ما يُقرأُ بِهِ في صلاةِ العِيدينِ، حديث رقم: (891).

اسم السّورة وسَبب تسميتها:

سـورةُ (ق) اشتهرت بهذا الاسـم، ولا يُعرف لها أسماء أخرى

وردت تسميتها بسورة (ق) في كتب السُّنَّة والتَّفسير، فقد ذكر البخاريُّ والتِّرمذيُّ تسميتَها بذلك[1]، وذلك لورود هذه اللَّفظة في مطلعها، فهي "مِن السّور الَّتي سُمّيت بِأسماء الحروفِ الواقعة في ابتِدائِها - مثلَ (طه) و(ص) و(ق) و(يس) - لانفرادِ كلِّ سورَةٍ منها بِعدد الحروفِ الواقعَةِ في أوائِلِها، بِحَيْثُ إذا دُعيَت بِها لا تَلْتَبِسُ بِسورَةٍ أُخْرَى"[2]، وقد ذكر السُّيوطيُّ تسميتها بسورة (الباسقات)[3]، ولعلَّ ذلك لانفرادها بهذه اللَّفظة، وأطبق المحقِّقون من العلماء على أنَّ هذا الحرفَ الذي سُمّيَت به سورةُ (ق) - وسائِرَ الحروف المقطَّعةِ الَّتي جاءت في (29) سورةً من سور القرآن الكريم- للتَّحدّي، وقَرعِ العصا لهم بأنْ يأتوا بمثله؛ إن استطاعوا إليه سبيلًا، فحروفُ القرآن هي حروف العَرَبِ التي ينطقون بها، ونظمه يُشبِه سائر نظومهم، ولكنَّهم مع ذلك لا يقدرون على الإتيان ولو بسورة مِن مِثلِه.

المحور العامُّ للسّورة:

مِـحـوَرُ السّـورة قائمٌ على إثباتِ الإيمان بالبَعث

موضوعُ هذه السّورة مثلُ موضوعات سائر السّور المكّيَّة، التي تعالج أصولَ العقيدة الإسلاميَّة: التَّوحيد، والبعث، والنُّبوَّة والرِّسالة، واعتنت سورة (ق) بالأصل الثّاني، وهو البعث، وإثباته، والرَّدُّ على منكريه، فابتدأتِ السّورة بالكلام عن إنكار مشركي العرب وقريش أمرَ البعث والنُّشور، وأمرَ النُّبوَّة ورسالة محمَّد ﷺ، وتعجُّبهم من إرسال رسول منذر منهم، ومن إعادة الحياة بعد الممات[4].

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب: تفسير سورة ق: 4/ 1834، والترمذي، سنن التّرمذيّ، بابٌ: ومِن سُورةِ ق 5/ 390.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 273.

(3) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 194.

(4) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 26/ 275 - 276.

فمِحوَرُ السّورة قائمٌ على النقاط الآتية:

أوّلًا: بيان أثر القرآن المُعجِز في إقامة الأدلَّة على الغيبيّات المُنكَرة، من خلال عرض سُنَنِ اللّه الكونيَّة في الأنفس والآفاق، ومن خلال عرض سنن اللّه الاجتماعيَّة في استئصال المكذِّبين المعاندين.

ثانيًا: عرضت السورة مَشاهِدَ غَيبيَّةً تكشف لهم عن علم اللّه تعالى بالإنسان وبخوالج نفسه، وأنَّ كلَّ أعمال الإنسان محفوظةٌ له، وستنكشف في يوم يتخلّى فيه القرين عن قرينه، والتّابعُ عن متبوعه، وبيَّنت لهم انقسام النّاس إلى فريقيْن يوم القيامة، مُبَيِّنةً جزاءَ كلِّ فريق.

ثالثًا: اختتمت السّورة الكريمة بعد ذلك بوصايا للنَّبيِّ ﷺ تعينه على مواجهتهم وردِّ شبهاتهم، مبتدِئةً هذه الوصايا بأمره بالصَّبر على أقوالهم، وبالابتهال إلى اللّه تعالى بالتَّسبيح له باللَّيل والنَّهار، وأنْ يذكِّرهم بيوم البعث، وأن يعلِّمهم أنَّ اللّه تعالى هو الذي اختصَّ بالإحياء والإماتة، وأنَّه ليس مسؤولًا عن هدايتهم، بل إنَّه مأمورٌ أنَّ يُذكِّر بالقرآن من يخاف وعيدَ اللّه تعالى.

موضوعات السورة وخصائصها:

مَـدارُ الـسّـورةِ يَدورُ حولَ تأكيدِ حقيقةِ البَعثِ

من موضوعاتِ سورةِ (ق) ومقاصِدِها الكلّيَّة: التَّنْويهُ بِشَأْنِ القُرْآنِ، وتكذيبُ المشركين الرَّسولَ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مِن البشر، والاسْتِدلالُ عَلى إثباتِ البعثِ، وأنَّهُ لَيس بأعظَمَ من ابتداءِ خَلقِ السَّماواتِ وما فيها، وخلقِ الأرضِ وما عَلَيها؛ والاستدلالُ بنَشأة النَّبات والثِّمارِ مِن ماءِ السَّماءِ على الإحياء بَعدَ المَوتِ، وتَنْظيرُ المشركين في تكذيبِهم بالرِّسالةِ والبَعث ببعض الأُمم الخالية المعلومَةِ لَديهم، ووَعيدُ هؤلاء أن يَحلَّ بهم ما حلَّ بِأولَئِكَ، والوَعيدُ بِعَذابِ الآخِرة؛ ابتِداءً مِن وقت احتضار الواحِدِ، وذِكر هَول يوم الحساب، ثمَّ وعدُ المؤمِنين بِنَعيم الآخرة؛ وتَسلية النَّبيِّ ﷺ عَلَى تكذيبِهم إيّاهُ، وأمرُهُ بالإقبال على

طاعة رَبّه، وإرجاءِ أمر المُكَذِّبين إلَى يَوم القيامة، وأنَّ الله لَو شاءَ؛ لَأخذَهم من الآن، ولَكِن حِكمَةُ الله قضَت بإرجائِهم، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَم يُكَلَّف بأن يُكرِهَهُم عَلَى الإسلام، وإنَّما أُمِر بالتَّذكيرِ بالقُرآنِ، ثمَّ الثَّناءُ على المُؤمِنين بالبَعث بأنَّهم الَّذين يتذَكَّرون بالقرآن، وإحاطَة علم الله تعالى بخفيّات الأشياء وخواطر النُّفوس[1].

الخصائِصُ الموضوعيةُ لسورةِ (ق):

موضوعاتُ سورةِ (ق) تدور حولَ أصول الدّين والتَّذكير بيوم الدّين

اشتملت السورةُ على موضوعاتٍ شديدةِ الأهمّيَّة، نُظِمت بأسلوبٍ بالغِ التَّأثير، وهي:

أوّلاً: تبدأ بالثَّناء على القرآن الكريم، ثم تسْرُد دعاوى المشركين، وتردُّ عليهم بما يُخرِس ألسنتَهم، ثم توَبِّخُهم على عَدَم تفكُّرهم في أحوال الكَونِ الزّاخِر بالآيات والكائنات، الدالَّةِ على وحدانيَّة الله تعالى وقُدرَته، ثم تذكِّرهم أيضًا بسوء عاقبة المكذِّبين من قبلهم، كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم فرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة، ثم تُتبِع ذلك بتذكيرهم بعلم الله الشامل لكلِّ شيء، وبسَكَرات الموت وما يتبعها من بعثٍ وحسابٍ، وثوابٍ وعقابٍ، ثم تُختَتَمُ السورةُ الكريمة بتسلية الرسول ﷺ عمّا أصابه من قومه، وتُرشِدُه إلى العلاج الذي يعينه على مداومة الصبر، كما تحكي له أحوالَهم يومَ القيامة؛ ليزدادَ يقينًا على يقينه، وتأمره بالمواظبة على تبليغهم بما أمره الله تعالى بتبليغه[2].

ثانيًا: تشتمل السورةُ على نوعٍ من الإعجاز، يتمثَّل في سَردِ الحقائقِ التي تَعِظ النّاسَ، وروايةِ الأحداث والأخبار التي تُنَبِّهُهم، وتوقِظهم من غفلتهم، وتدعوهم إلى تأمُّلِ ما حَدَث للسابقين الذين رفضوا اتِّباع المرسلين، وكفروا برب العالمين؛ وهي أخبارٌ ومواقفُ لم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 275.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 329، 330.

يكن باستطاعةِ أحدٍ الإحاطةُ بها، ولا معرفةُ شيءٍ عنها، إلّا بوحيٍ من علّامِ الغيوب.

الخصائِصُ الأسلوبيَّةُ لسورةِ (ق):

تـمـيَّـزت سـورةُ (ق) بخصائِصَ أفـردَتـهـا عـن غيرها من السّور

أوّلًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة بقِصَر آياتِها وتقارُبِ فواصلها، وبأنَّ أغلبَ فواصلِها اختتمت بحروف القلقلة: القاف والطّاء والباء والجيم والدّال، فقد ذُيِّلت (27) فاصلةً منها بحرف الدّال، و(7) فواصلَ بحرف الباء، و(5) بحرف الجيم، أي(39) آيةً من أصل (45) آيةً اختتمت بحروف مقلقلة، وهذه القلقلة بارتجاج الصَّوت واهتزازه تتلاءم مع قوَّة عبارات السّورة وشدَّة صوتها على الكافرين المُنكرين.

ثانيًا: تميَّزت السّورة أيضًا بأنَّ حرف القاف فيها له حضوره المميَّز، بدءًا من الآية الأولى منها؛ إذ بلغت مرّاتُ تكراره – مع احتساب الحروف المُضعَّفة – (64) مرَّةً، ووَرَد ذكره في ألفاظ لها وضعها الخاصُّ في السّورة الكريمة مثل ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾، و﴿تَنقُصُ﴾، ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾، و﴿بَاسِقَٰتٍ﴾، و﴿قَوْمُ﴾، و﴿خَلْقٍ﴾، و﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: 17]، و﴿قَرِينُهُۥ﴾ [ق: 23]، و﴿سَآئِقٌ﴾ [ق: 21]، و﴿قَرِيبٍ ۝٤١﴾ [ق: 41]، وغيرها.

ثالثًا: تميَّزت السّورة أيضًا بتكرار بعض الألفاظ في فواصلها، مثل ﴿حَفِيظٌ﴾[1]، و﴿ٱلْخُرُوجُ﴾[2]، و﴿مُّنِيبٍ﴾[3]، و﴿مَّزِيدٍ ۝٣٥﴾[4]، و﴿عَتِيدٌ ۝١٨﴾[5]، و﴿بَعِيدٌ﴾[6]، و﴿وَعِيدِ﴾[7].

رابعًا: تميَّزت السّورة أيضًا بتكرار ضمير العظمة فيها مرّاتٍ عديدةً، منها: ﴿عَلِمْنَا﴾، ﴿وَعِندَنَا﴾، و﴿بَنَيْنَٰهَا﴾، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾،

(1) الآيتان: 4، 32.
(2) الآيتان: 11، 42.
(3) الآيتان: 8، 33.
(4) الآيتان: 30، 35.
(5) الآيتان: 18، 23.
(6) الآيات: 3، 27، 31.
(7) الآيات: 14، 20، 28، 45.

و﴿مَدَدْنَٰهَا﴾، ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾، ﴿وَأَنۢبَتْنَا﴾، ﴿وَنَزَّلْنَا﴾، ﴿وَأَحْيَيْنَا﴾، ﴿أَفَعَيِينَا﴾، و﴿خَلَقْنَا﴾ [ق: 16]، ﴿فَكَشَفْنَا﴾ [ق: 22]، و﴿نَقُولُ﴾ [ق: 30]، و﴿وَلَدَيْنَا﴾ [ق: 35]، و﴿مَسَّنَا﴾ [ق: 38]، و﴿إِنَّا﴾ [ق: 43]، و﴿نَحْنُ﴾ [ق: 43]، ﴿وَإِلَيْنَا﴾ [ق: 43]، و﴿عَلَيْنَا﴾ [ق: 44]، وكلُّ ذلك مرتبطٌ بتولّي الله ﷻ الرّدَّ عليهم بنفسه، وإقامةِ الأدلَّة على قدرته على البعث بنفسه.

خامسًا: تميَّزت السّورة الكريمة أيضًا بأنَّها زاخرةٌ بأنساقٍ تعبيريَّةٍ خاصَّة بها، حتّى كأنَّ كلَّ تراكيبها كانت كذلك، ممّا يؤكِّد أنَّ لهذه السّورة نظمًا خاصًّا بها، وهي بهذا تشبه سورة محمَّد والفتح والحجرات اللّاتي سبقنها بخصوصيَّة تركيباتها وأنساقها التَّعبيريَّة، ومنها على سبيل التَّمثيل لا الحصر: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ﴾، ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾، ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾، ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾، ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: 16]، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: 17]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ﴾ [ق: 19]، وهكذا هي بقيَّة آيات السّورة الكريمة.

سادسًا: تميَّزت السّورة الكريمة أيضًا بأنَّها حَوَت أبنيةً صرفيَّة لم تأتِ في غيرها من السّور، مثل: ﴿رَجْعٌ﴾، ﴿مَّرِيجٍ﴾، ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾، ﴿ٱلْحَصِيدِ﴾، ﴿تَبْصِرَةً﴾، ﴿ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: 16]، ﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: 17]، ﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: 18]، ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: 17]، ﴿سَآئِقٌ﴾ [ق: 21]، ﴿مَّزِيدٍ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: 30]، ﴿ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: 34]، ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ [ق: 36]، وغيرها.

سابعًا: تميَّزت السّورة الكريمة بأنَّها حوت ألفاظًا فريدة في مادَّتها وبنائها الصَّرفيِّ، وهي: ﴿تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: 19]، ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾، ﴿يَلْفِظُ﴾ [ق: 18].

ثامنًا: تميَّزت السّورة الكريمة أيضًا بكثرة المركَّبات الوصفيَّة فيها، مثل: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾، ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾، ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، ﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، ﴿عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾، ﴿مُّعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ق: 25]، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق: 26]، ﴿ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [ق: 27]، ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ [ق: 32]، ﴿بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: 33]، وغيرها.

تاسعًا: تعانق مطلع السّورة مع خاتمتها بما يُسمّيه علماء البلاغة بِرَدِّ العَجُزِ على الصَّدْر، فقد استهلَّت السورةُ بقوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم

مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، واختتمت بالحديث عن البعث وعن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: 43 - 45].

مناسبة سورةِ (ق) لما قبلها:

سـورة (ق) متَّصلة تمامًا بسـورتي الحجرات والذّاريات مضمونًا وأسلوبًا

وجه ارتباط سورةِ (ق) بسورة الحجرات المدنيَّة التي سبقَتها، فإنَّ سورةَ الحجرات قد انطوت على جملةٍ من الألطاف التي خصَّ بها تعالى عبادَه المؤمنين، كذكره تعالى أُخوَّتهم، وأمرِهم بالتَّثبُّت عند غائلةِ معتدٍ فاسقٍ، وأمرِهم بغضِّ الأصوات عند نبيِّهم، وألّا يُقَدِّموا بين يديه، وألّا يعاملوه في الجَهْرِ بالقول كمعاملةِ بعضهم بعضًا، وأمرِهم باجتناب كثيرٍ من الظَّنِّ، ونهيهم عن التَّجسُّسِ والغيبة، وأمرِهم بالتَّواضع، وأخبرَهم تعالى أنَّ استجابتهم وامتثالَ هذه الأوامرِ ليست بحَولِهم، ولكن بفضله وإنعامه، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ﴾ [الحجرات: 7 - 8]، ثمَّ أعقب تعالى بقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات: 17].

وليبيِّن أنَّ ذلك كلَّه بيده ومن عنده، أراهم الله سبحانه في مطلع سورة (ق) حالَ من قضى عليه الكفرَ، ولم يحبِّبْ إليه الإيمانَ، ولا زيَّنه في قلبه، بل جعله في طَرَفٍ من حالِ مَنْ أُمِرَ، ونُهِيَ في سورة الحجرات، مع المساواة في الخلق وتماثل الذوات، فقال تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الآيات [ق: 1 - 5].

ثمَّ ذكر سبحانه وضوحَ الأدلَّة: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ الآيات [ق: 6 - 11]، ثمَّ ذكر حالَ غيرهم ممَّن كان على رأيهم ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ الآيات [ق: 12 - 14]؛ ليُذَكِّر مجموعُ هذا من قُدِّم ذِكرُ حالِه في سورة الحجرات، وليتأدَّب المؤمنُ بآداب الله، ويعلمَ أنَّ ما أصابه مِنَ الخير؛ فإنَّما هو من فضل ربِّه وإحسانه.

ثمّ التحمتِ الآيُ إلى قوله خاتمة السورة: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: 45][1].

فالحقُّ أنَّه وإنِ اختلفتِ السّورتان في مكانِ النُّزول وزمانِه، إلّا أنَّه عند إنعامِ النَّظر فيهما يتبيَّن أنَّ بينهما أواصرَ كثيرةً تجمعهما، فلئن كانت سورة الحجرات، قد ذكَّرت المؤمنين بنعمة الله تعالى عليهم أن هداهم للإيمان؛ فقد جاءت هذه السّورة الكريمة؛ لتبيِّن لهم حالَ من لم يخالِط قلبَه الإيمانُ، وسلَّم أمرَه لقرينه الكافر، ولئن كانت سورة الحجرات قد بيَّنت بعض أحوال المؤمنين، وعالجت بعض الأخطاء التي يُمكِن أن يقعوا فيها، فقد جاءت هذه السّورة؛ لتبيِّن عِلمَ الله تعالى بما توَسوِس به النُّفوس، ولتذكِّرهم بسكرات الموت، ثمَّ إنَّ سورة (ق) جاءت لتذكِّرَ المؤمنين بيوم الحساب وأحداثِه، وتخلّي القرين عن الإنسان، وجاءت لتوصيهم ببعض ما يعينهم على أداء مهمّاتهم على ما يرضي الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: 39 - 40].

(1) الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 314.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"